خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/١٠/٣١

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

الحديث عن غزوة تبوك جار في الخطب في هذه الأيام. يخبرنا التاريخ عن خروج الجيش الإسلامي إلى تبوك ويقول خرج رسول الله ﷺ لهذه الغزوة ونزل أول منزل في ذي خُشُبٍ، وهو وادٍ على مسافة ليلة واحدة من المدينة على طريق الشام ويكثر فيه عيون الماء. ومنذ نزوله هناك بدأ النبي ﷺ يجمع بَيْنَ الظّهْرِ وَالْعَصْرِ ثم بين المغرب والعشاء، فَكُلّ ذَلِكَ فَعَلَهُ حَتّى رَجَعَ مِنْ تَبُوكَ.

ولا نجد تفاصيل كاملة عن منازل النبي ﷺ بعد ذلك، غير أننا نجد أسماء بعض الأماكن منها، وسوف أذكرها إن شاء الله لاحقا إن سنحت لي الفرصة.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في غزوة تبوك، فمالت الشمس، فجمع الظهر والعصر. وكان ﷺ إذا سار قبْل أن تميل الشمس أخّر الظهرَ ونزل عند العصر وصلاهما جمعا. وكان يفعل مثله فيما يتعلق بصلاة المغرب، فإن غابت الشمس قبْل مسيره صلى المغرب والعشاء جمعا، وإن سار قبل مغيب الشمس أخّر المغرب وصلاها عند العشاء جمعا.

وورد أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه نال شرف الإمامة بالمسلمين في الصلاة. أخبر المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَبُوكَ، فَتَبَرَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ الْغَائِطِ قبل الفجر، فَحَمَلْتُ مَعَهُ إِدَاوَةً[1] الماء، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ أَخَذْتُ أُهَرِيقُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ الْإِدَاوَةِ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (وهكذا بيّن طريقة الوضوء في السفر) ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ المبارك، ثُمَّ ذَهَبَ يُخْرِجُ جُبَّتَهُ عَنْ ذِرَاعَيْهِ فَضَاقَ كُمَّا جُبَّتِهِ، فَأَدْخَلَ يَدَيْهِ فِي الْجُبَّةِ حَتَّى أَخْرَجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ وَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ عَلَى خُفَّيْهِ، أي مسح على جواربه ونظفهما، ثُمَّ أَقْبَلَ راجعا. قَالَ الْمُغِيرَةُ فَأَقْبَلْتُ مَعَهُ حَتَّى نَجِدُ النَّاسَ قَدْ قَدَّمُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَصَلَّى لَهُمْ. فَأَدْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ، فَصَلَّى مَعَ النَّاسِ الرَّكْعَةَ الْآخِرَةَ. فَلَمَّا سَلَّمَ عَبْدُ

[1] الإداوة : إناء صغير من جلد يحمل فيه الماء وغيره

الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُتِمُّ صَلَاتَهُ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ فَأَكْثَرُوا التَّسْبِيحَ. فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ: "أَحْسَنْتُمْ"، أَوْ قَالَ: "قَدْ أَصَبْتُمْ، يَغْبِطُهُمْ أَنْ صَلَّوْا الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا".

ونجد هناك ذكر مرور جيش المسلمين بديار ثمود الخربة. فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ الْحِجْرَ فِى غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَهُمْ أَنْ لاَ يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا، وَلاَ يَسْتَقُوا مِنْهَا. فَقَالُوا قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا، وَسقينا ماشيتنا. فَأَمَرَهُمْ النبي ﷺ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ وَيُهَرِيقُوا الْمَاءَ الذي معهم.

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهم بِإِلْقَاءِ الطَّعَامِ.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "مَنِ اعْتَجَنَ بِمَائِهِ فَلْيُلْقِ ذلك العجين".

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال: "لا تشربوا من بئرها، ولا تتوضؤوا منها، بل اعْلفوا العجين الذي عجنتموه من مائها إبلكم، ولا تأكلوه أبدا".

وفي رواية أخرى أَنَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نهاهم عن أن يستقوا من تلك البئر، وأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِى كَانَ تَرِدُهَا ناقةُ صالح عليه السلام.

ويرى ابن حجر العسقلاني شارح البخاري أن النبي ﷺ عَلِمَ ببئرِ ناقة صالح عليه السلام بواسطة الوحي.

وفي رواية أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا مَرَّ بِالْحِجْرِ قَالَ: «لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ»، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وهو عَلَى الرَّحْلِ»، أي عليهم أن يمرّوا بتلك القرى وهمْ في منتهى الخشية داعين الله تعالى مخافة أن يصيبهم العذاب الذي أصاب أهلها.

وفي رواية أن رسول الله ﷺ غطى رأسه ودفع راحلته حتى عبر ذلك الوادي.

ومنطقة الحِجر هذه تقع على طريق تبوك من المدينة، وكان يسكنها ثمودُ قومُ صالح عليه السلام، وكانت تسمى الحجر عندها، وهي شهيرة اليوم باسم "مدائن صالح". لقد منّ الله على هؤلاء القوم بنعم كثيرة من مزارع خضراء وعيون جارية ونظام واسع للزراعة، وبساتين من نخيل وغيرها من الثمار. لقد خول الله لهم قوة ومنعة وموارد طبيعية كثيرة وكفاءات غير عادية مِن جد ومهارة وما إلى ذلك، حتى إنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا. وجُعلت ناقة صالح عليه السلام آية لهم، ولكنهم عقروها، فأهلكهم الله بعذابه ودمرهم تدميرا. وسماهم القرآن الكريم أصحاب الحِجر، وفي القرآن الكريم سورة باسم الحِجر.

ونجد في هذا السفر قصة فقدان ناقة رسول الله ﷺ، وبيانها أن نَاقَة رَسُولِ اللهِ ﷺ الْقَصْوَاء فُقدتْ وهو في طريقه إلى تبوك، فَخرج الصحابة يَطْلُبُونَهَا فِي كُلّ وَجه. وكان عند رسول الله عُمارةُ بن حَزم الذي كان من الصحابة الذين حضروا بيعة العقبة وشهدوا بدرا.

في خيمة عمارة رضي الله عنه كان زيد بن الصلت، وهو رجل من يهود بني قَينُقاع، وكان قد أسلم، غير أن إسلامه لم يكن خالصًا، إذ بقي في قلبه النفاق ولم يرسخ الإيمان في نفسه. وظهر ذلك حين قال لأهل الخيمة حين كان رسول الله ﷺ عند عمارة رضي الله عنه: ألا يدعي محمد ﷺ أنه نبيّ، ويخبركم بأخبار السماء، فها هو ذا لا

يدري أين ذهبت ناقته. وكان زيد يقول هذا في خيمته، وفي تلك اللحظة قال رسول الله ﷺ لعمارة ﷺ، وهو عنده: "لقد قال قائل: إن محمدًا ﷺ يزعم أنه يخبركم بأخبار السماء، وهو لا يدري أين ناقته". ثم قال النبي ﷺ: "والله، ما أعلم إلا ما علّمني الله، ولا أعلم الغيب، وإنما أُخبر بما يُخبرني الله به. وقد أخبرني الله عن ناقتي، إنها في تلة كذا، وأشار إلى تلة". لقد أظهر الله تعالى غيرة لنبيه فورا بعد قول هذا المنافق، فأخبر نبيّه ﷺ كشفًا أو وحيا أن الناقة في موضع كذا، وأن زمامها قد تعلق بشجرة. فقال النبي ﷺ لأصحابه: "اذهبوا فجيئوني بها". فانطلق الصحابة ﷺ إلى حيث أشار، فعادوا بها. ثم رجع عمارة ﷺ إلى خيمته وقال: "والله لقد رأينا اليوم أمرًا عجيبًا! أخبرنا رسول الله ﷺ عن رجل قال قولًا، فأطلعه الله عليه. فقال أحد من في الخيمة: والله إن ما أخبركم به رسول الله ﷺ هو نفس ما قاله زيد قبل أن تأتوا. فعندئذٍ قبض عمارة على عنق زيد وقال لأصحابه: يا عباد الله، لقد كان في خيمتي حيّة وكنت غافلا حتى اليوم عن إخراجه من خيمتي. ثم التفت إلى زيد وقال له: لا صلة لي بك بعد اليوم. قال البعض: تاب زيد فيما بعد، وقال آخرون: بل بقي على شره ومات على ذلك.

ورد في رواية أن الصحابي الذي ذهب إلى الموضع الذي أشار إليه رسول الله ﷺ فوجد الناقة وجاء بها، هو الحارث بن خَزْمة ﷺ.

{في هذه المسيرة نفدت أزواد القوم وقد ورد في تفصيله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا[٢] فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "افْعَلُوا". قَالَ الراوي: فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ[٣]، وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "نَعَمْ". قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ[٤] فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ. قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ. فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: "خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ". قَالَ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ. قَالَ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنْ الْجَنَّةِ". (صحيح مسلم، كتاب الإيمان)

وفي هذا السفر ورد أيضًا ذكر وقائع مختلفة، ومنها واقعةُ اقتتالِ رجلين. عن يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعُسْرَةَ، فَكَانَ لِي أَجِيرٌ فَقَاتَلَ إِنْسَانًا فَعَضَّ أَحَدُهُمَا يَدَ الْآخَرِ فَانْتَزَعَ الْمَعْضُوضُ يَدَهُ مِنْ فِي الْعَاضِّ فَانْتَزَعَ إِحْدَى ثَنِيَّتَيْهِ، أي انقلعت بسبب شدّة الجذب حين أراد تخليص يده، فَأَتَيَا النَّبِيَّ ﷺ فَأَهْدَرَ

---

[٢] الناضح: البعير يستقى عليه ثم استعمل في كل بعير وإن لم يحمل الماء

[٣] الظهر : الإبل تعد للركوب وحمل الأثقال

[٤] النطع: قطعة من الجلد السميك

ثَنِيَّتَهُ أي الذي سقطت ثنيته طلب الدية لذلك، فرفض النبي ﷺ طلبه وقرر أن هذا الرجل لا يستحق الدية، وقَالَ ﷺ: "أَفَيَدَعُ يَدَهُ فِي فِيكَ تَقْضَمُهَا كَأَنَّهَا فِي فِي فَحْلٍ يَقْضَمُهَا". (صحيح البخاري، كتاب المغازي) أي أن الذي كانت يده تُعضّ، عندما سحب يده لإنقاذها فانكسرت سنّ العاضّ بسبب ذلك، فلا دية له. فحكم الدية أيضًا يكون وفقًا للحقائق والظروف. ولا تُعطى الدية هكذا دون النظر في الحقائق.
كذلك هناك واقعات أخرى وقعت في هذا السفر، منها مثلا قال أبو حُمَيْد السَّاعِدِيّ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ فَلَمَّا جَاءَ النبي ﷺ وَادِيَ الْقُرَى وجد هناك بستان نخيل. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: "اخْرُصُوا[٥] كم سيكون التمر". فخرص الجميع، وَخَرَصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ[٦]، أي حوالي ألف وثمانمائة كيلو من التمر سيُجنى منه، وكانت صاحبة البستان امرأة واقفة هناك. فَقَالَ لَهَا: "أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا". قال الراوي: عند العودة من تبوك لَمَّا أَتَينا وَادِيَ الْقُرَى سألنا الْمَرْأَة: كَمْ جَاءَ حَدِيقَتُكِ؟ قَالَتْ: عَشَرَةَ أَوْسُقٍ خَرْصَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كذلك يقول الراوي: لَمَّا أَتَيْنَا تَبُوكَ قَالَ النبي ﷺ: "أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ، وإن احتاج أحد للخروج فلا يذهب وحده بل يذهب اثنان معًا".

يبدو أن النبي ﷺ أدرك عاصفة الرياح أو من المحتمل أن الله تعالى أخبره. يروي الصحابة أننا امتثلنا للأمر وعقلنا إبلنا ثم هبت تلك الليلة رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَقَامَ رَجُلٌ فَأَلْقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّءٍ. وفي رواية أخرى أن رجلين من بني ساعدة لم يمتثلا لهذا التوجيه، أحدهما خرج وحده لقضاء الحاجة والآخر خرج وحده للبحث عن بعيره. فالذي ذهب لقضاء الحاجة أصيب بمرض الخناق (وهو مرض في الحلق) ومن خرج بحثًا عن الجمل حملته الريح العاصفة وألقت به بين جبلي طيء. فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: "ألم أنهكم عن الخروج بغير رفيق؟". والذي أصيب بالمرض دعا له النبي ﷺ فشُفي. أما الذي سقط في جبال طيء فقد أحضره أهل قبيلة طيء أنفسهم إلى المدينة إلى النبي ﷺ لاحقا. وفي رواية أخرى أنه لما أصبح الناس بعد العاصفة لم يكن عندهم ماء فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا، فأرسل الله ﷻ سحابة فأمطرت عليهم مطراً غزيراً حتى ملأوا قِرَبهم وسدُّوا حاجتهم.

كذلك ذُكر حادث آخر لنزول المطر بصورة إعجازية نتيجة دعاء رسول الله ﷺ في أثناء غزوة تبوك كما يلي:

يروي ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل لعمر بن الخطاب ﷺ: حدِّثْنا عن غزوة تبوك، فقال: خرجنا إلى تبوك في حر شديد، فنزلنا منزلاً فأصابنا عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى صار الرجل

---

[٥] الخرص : يقال خَرَص النخلة والكَرْمة يَخْرُصها خَرْصا : إذا حَزَرَ وقَدَّر ما عليها من الرُّطب تَمْرا ومن العنب زبيبا، فهو من الخَرْص : الظنّ؛ لأن الحَزْر إنما هو تقدير بظن

[٦] الوسق : مكيال مقداره ستون صاعا والصاع أربعة أمداد، والمدُّ مقدار ما يملأ الكفين

يذهب يطلب الماء فلا يرجع، فنظن أنه قد هلك. وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر ما في معدته من الماء فيشرب، ويحفظ ما بقي منه في بطنه. (أظن أن المراد هنا هو الوعاء فكان يحتفظ به في الوعاء) فقال أبو بكر الصديق ﷺ: يا رسول الله، إن الله قد جعل الخير في دعائك، فادعُ لنا. فقال النبي ﷺ: "أتحبون أن أدعو؟". قلنا: نعم. فرفع النبي ﷺ يديه، فلم يرجعهما حتى أظلت السحابة وبدأ المطر بالنزول. فملأ الناس كل ما معهم من الأوعية. ثم ذهبنا نفحص نزول المطر في بقية الأماكن فوجدنا أنه لم يجاوز الجيش.

كذلك ذُكرت زيادة الماء على سبيل المعجزة في عين تبوك أيضا.

فيروي معاذ بن جبل: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلَاةَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا أَخَّرَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا ثُمَّ دَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا ثُمَّ قَالَ: "إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ. فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ". فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ[٧] تَبِضُّ[٨] بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ. قَالَ فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟". قَالَا نَعَمْ. فوبّخهما النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ. قَالَ: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ. قَالَ: وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ ... حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ .ثُمَّ قَالَ ﷺ: "يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا[٩]". (صحيح مسلم، كتاب الفضائل)

قال محمد بن عبد الباقي الزرقاني في شرح هذا الحديث إنه كان نبأ الغيب وقد تحقق. وفي ذكر النبي ﷺ معاذ بن جبل ﷺ بوجه خاص كان أيضا نبأ من الغيب لأن الله تعالى قدّر أن جاء معاذ بن جبل ﷺ إلى هذه المنطقة أي إلى الشام ومات هنالك. يبدو أن النبي ﷺ قد علم بالوحي أن معاذ بن جبل ﷺ سيشهد هذا المكان، وأن ذلك الوادي سيُملأ بالأشجار والبساتين.

كان أبو عبد الله محمد بن وضاح (١٩٩هـ إلى ٢٨٧هـ) من المحدِثين المعروفين في الأندلس. فيقول: رأيتُ كل تلك المنطقة المحيطة بهذا النبع. كانت خضرة الأشجار ونضارتها توحي كأن هذه السلسلة ستستمر حتى يوم القيامة. وهكذا كانت نبوءة النبي ﷺ.

ووردت في أطلس السيرة النبوية ﷺ تفاصيل إضافية عن نبع تبوك المذكور آنفا على النحو التالي: قال أحدهم عن الشيخ صالح، رئيس الهيئة الشرعية في تبوك، إن هذا النبع ظل يتدفق باستمرار لمدة ألف وأربعمائة سنة تقريباً حتى قبل عامين. وبعد ذلك، عندما حُفرت آبار أنبوبية في المناطق المنخفضة، انتقلت

---

[٧] الشراك : أحد سيور النعل والمراد أن الماء قليل وضحل

[٨] بَضَّ : قطر وسال ورشح

[٩] الجنان : جمع جنة وهي المزارع والبساتين

مياه هذا النبع إلى تلك الآبار. وبعد أن توزعت المياه على حوالي خمس وعشرين بئراً أنبوبية، جف هذا النبع الآن. يقول: ثم أخذنا الشيخ صالح إلى بئر أنبوبية آخر أيضا حيث رأينا أنبوباً مثبَّتا بقطر أربع بوصات والماء يتدفق منه بقوة هائلة دون أي آلة. وقد أُخبِرنا أن الحال نفسه تقريباً ينطبق على الآبار الأنبوبية الأخرى.

إنها بركة معجزة النبي ﷺ فقط أن الماء موجود اليوم بكثرة في تبوك بحيث لم نر كثرة الماء على هذا النحو في أي مكان باستثناء المدينة المنورة وخيبر، بل الحقيقة أن ماء تبوك أكثر من كلا المكانين المذكورين. وبالاستفادة من هذا الماء تتم الآن زراعة البساتين في كل مكان في تبوك. ووفقًا لنبوءة النبي ﷺ، فإن منطقة تبوك مملوءة بالبساتين وتزداد امتلاءً يوماً بعد يوم.

لقد ورد عن مسؤولية الحرس في غزوة تبوك أن رَسُولُ اللهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ عَلَى حَرَسِهِ بِتَبُوكَ عَبّادَ بْنَ بِشْرٍ فَكَانَ يَطُوفُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي الْعَسْكَرِ فَغَدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا زِلْنَا نَسْمَعُ صَوْتَ تَكْبِيرٍ مَنْ وَرَائِنَا حَتّى أَصْبَحْنَا، فَوَلّيْتَ أَحَدَنَا يَطُوفُ عَلَى الْحَرَسِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا فَعَلْتُ، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى خَيْلِنَا أُنْتُدِبَ". فَقَالَ سِلْكَانُ بْنُ سَلَامَةَ (الذي لم يكن قد طُلب ذلك منه وإنما كان يفعل ذلك تطوعا حبًّا لرسول الله ﷺ): يَا رَسُولَ اللهِ خَرَجْت فِي عَشْرَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى خَيْلِنَا فَكُنّا نَحْرُسُ الْحَرَسَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (داعيًا له): "رَحِمَ اللهُ حَرَسَ الْحَرَسِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَلَكُمْ قِيرَاطٌ مِنْ الْأَجْرِ عَلَى كُلّ مَنْ حَرَسْتُمْ مِنْ النّاسِ جَمِيعًا أَوْ دَابّةٌ". (وقيراط واحد يساوي جرامين تقريبا من ذهب وغيره).

في رواية أن البعض كانوا يتخلفون أثناء السير إلى تبوك عند كل منزل، فَجَعَلَ يَقُولُ الصحابة لرسول الله ﷺ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ تَخَلّفَ اليوم فُلَانٌ فَيَقُولُ دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيَلْحَقُهُ اللهُ تَعَالَى بِكُمْ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمْ اللهُ مِنْهُ حَتّى قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ تَخَلّفَ أَبُو ذَرّ وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ فَقَالَ دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيَلْحَقُهُ اللهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمْ اللهُ مِنْهُ وَتَلَوّمَ[١٠] أَبُو ذَرّ عَلَى بَعِيرِهِ فَلَمّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمّ خَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَاشِيًا. وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ فَنَظَرَ نَاظِرٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إنّ هَذَا الرّجُلَ يَمْشِي عَلَى الطّرِيقِ وَحْدَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "كُنْ أَبَا ذَرّ". فَلَمّا تَأَمّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ وَاللهِ أَبُو ذَرّ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "رَحِمَ اللهُ أَبَا ذَرّ، يَمْشِي وَحْدَهُ وَيَمُوتُ وَحْدَهُ وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ".

إن ما قال النبي ﷺ عن أبي ذر رضي الله عنه إنه يَمُوتُ وَحْدَهُ قد تحقق حرفيا في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه حيث كان قد أقام مع أهله في الرَّبَذة خارج المدينة، (وهي موضع على مسافة ثلاثة أيام من المدينة وتقدَّر ٩٦ ميلا) وكان معه زوجته وأولاده وعبد له، ولم تكن هناك قريةٌ، فلما قرب أجلُه قلقت امرأتُه لأنها وحدها معه ولم

---

[١٠] تَلَوّم: انتظر

يكن عندها ما تكفنه به، فبدأت تبكي وقال لها أبو ذر ﷺ لا تبكي، فقد سمعت النبي ﷺ يقول إن أحدكم سيموت في قفر وتصلي عليه الجنازةَ جماعةٌ من المؤمنين وقال لها أيضا: إن الذين كانوا عنده ﷺ حينئذ قد ماتوا كلُّهم، ولم يمت أحدهم وحده في قفر وإنما أنا الوحيد ذلك الرجل، فلا تقلقي، فحين أموت ضعي جثماني بعد الغسل على الطريق إلى المدينة، ففعلتْ. وبعد قليل مر من هناك سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ مع أصحابه وكان قد أتى من العراق متوجها للعمرة، فلما علم أن هذه الجثة لأبي ذر ﷺ دمعت عيناه وقال باكيا، صدق رسول الله ﷺ إن أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده، ثم صلى عليه مع أصحابه ودفنه هناك، ثم قص على أصحابه قصة أبي ذر ﷺ في غزوة تبوك، وأخبرهم كيف تحقق ما قال النبي ﷺ حرفيا.

هناك حدث لالتحاق سيدنا واثلة بن الْأَسْقَعِ ﷺ بالجيش، وكان قد أسلم في المدينة بعد الفتح في السنة الثامنة من الهجرة قبل غزوة تبوك، وكان ما زال في المدينة إذ أعلن النبي ﷺ استعداده لتبوك، عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ أعلن رسول الله ﷺ الخروج إلى تبوك فَخَرَجْتُ إِلَى أَهْلِي فَأَقْبَلْتُ وَقَدْ خَرَجَ أَوَّلُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطَفِقْتُ فِي الْمَدِينَةِ أُنَادِي أَلَا مَنْ يَحْمِلُ رَجُلًا لَهُ سَهْمُهُ[11] فَنَادَى شَيْخٌ مِنْ الْأَنْصَارِ قَالَ لَنَا سَهْمُهُ عَلَى أَنْ نَحْمِلَهُ عَقَبَةً[12] وَطَعَامُهُ مَعَنَا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ فَخَرَجْتُ مَعَ خَيْرِ صَاحِبٍ حَتَّى أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا فَأَصَابَنِي قَلَائِصُ[13] فَسُقْتُهُنَّ حَتَّى أَتَيْتُهُ فَخَرَجَ فَقَعَدَ عَلَى حَقِيبَةٍ مِنْ حَقَائِبِ إِبِلِهِ ثُمَّ قَالَ سُقْهُنَّ مُدْبِرَاتٍ ثُمَّ قَالَ سُقْهُنَّ مُقْبِلَاتٍ فَقَالَ مَا أَرَى قَلَائِصَكَ إِلَّا كِرَامًا قَالَ إِنَّمَا هِيَ غَنِيمَتُكَ الَّتِي شَرَطْتُ لَكَ قَالَ خُذْ قَلَائِصَكَ يَا ابْنَ أَخِي فَغَيْرَ سَهْمِكَ أَرَدْنَا. باختصار قد شارك في الغزوة بهذه الطريقة.

كان سيدنا أبو خيثمة ﷺ أيضا من الذين تخلفوا عن قافلة رسول الله ﷺ، ويبدو أنه في تلك الأيام لم يكن في المدينة، ورَجَعَ بَعْدَ أَنْ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيّامًا إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارّ فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ لَهُمَا فِي حَائِطِهِ قَدْ رَشّتْ كُلّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا، وَبَرّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً وَهَيّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَامًا. فَلَمّا دَخَلَ قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الضّحّ[14] وَالرّيحِ وَالْحَرّ وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلّ بَارِدٍ وَطَعَامٍ مُهَيّأٍ وَامْرَأَةٍ حَسْنَاءَ فِي مَالِهِ مُقِيمٌ مَا هَذَا بِالنّصَفِ ثُمّ قَالَ وَاللهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَهَيّئَا لِي زَادًا، فَفَعَلَتَا. ثُمّ قَدّمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحَلَهُ ثُمّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. ثم رأى النبيُّ ﷺ ذات يوم فِي الضّحّ وَالرّيحِ وَالْحَرّ ظهرا يتقدم راكبٌ، وكان رسول الله ﷺ قد نزل بتبوك بحسب رواية ابن هشام، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ"؛ فلما دنا قال الصحابة يا

---

[11] السهم : النصيب من الغنيمة

[12] نحمله عقبة: أي نحمله على الدابة يركبها مرة وأركبها أخرى

[13] القلائص: جمع القلوص وهي الناقة الشابة القوية

[14] الضَّح: ضوء الشمس القوي كناية عن الحر

رَسُولَ اللهِ هُوَ وَاللهِ أَبُو خَيْثَمَةَ. فَلَمّا أَنَاخَ أَقْبَلَ فَسَلّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لماذا تخلفتَ يا أبا خيثمة؟". فقص عليه قصته فدعا له ﷺ بالخير.

لقد ذكر سيدنا المصلح الموعود ﷺ أيضا هذا الحادث، وكتب أن التاريخ يروي: عندما خرج النبي ﷺ لغزوة تبوك تخلَّفَ عنه أصحاب له منهم أبو خَيثَمة. وكان إنسانًا تقيًّا بارًّا لم يتصور أن يكون من المتخلفين؛ وكان سبب تخلُّفه أنه لم يكن بالمدينة لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك. فلما رجع إلى بيته وجد زوجته في انتظاره تريد بثَّ همومها إليه؛ ولكنه غض النظر عن رغبتها تلك وسألها: إلى أين خرج النبي ﷺ ؟ فقالت له: تعال اجلسْ أولاً واسترِحْ. فرد عليها: لا، والله ما كان لأبي خيثمة أن يجلس عند أهله في راحة والرسولُ ﷺ قد خرج للقتال. فجهّز فرسه على الفور وركَض إلى الجهة التي خرج إليها رسول الله ﷺ.

ذكر المصلح الموعود ﷺ هنا الحصان، بينما في بعض الروايات الأولى ورد ذكر الجمل، أو ربما ذُكر الحصان عن طريق الخطأ. وعلى أية حال، قد تكون الروايتان متوافقتين. على أية حال، كانت هناك دابة ركبها وانطلق بها وركَض إلى الجهة التي خرج إليها رسول الله ﷺ ، وما زال يركض حصانه حتى دنا من المكان الذي نزل فيه رسول الله بتبوك. فقال الناس: يا رسول الله، ها هو راكبٌ مقبلٌ. فقال النبي ﷺ: "كن أبا خيثمة". فقالوا: هو والله أبو خَيْثمة. فقول النبي ﷺ: "كنْ أبا خيثمة" لا يعني أن هذا الراكب أيًّا كان ينقلب أبا خيثمة، وإنما المراد: أتمنى أن يكون القادم أبا خيثمة.

في موضع آخر، أثناء شرحه لكلمة كُن، كتب المصلح الموعود ﷺ وكان المرجع الأول من التفسير الكبير عند تفسير الآية، وهنا أيضًا المرجع من التفسير نفسه. قد كتب المصلح الموعود ﷺ في بيان كلمة كُن: اعلَمْ أن لفظ "كُنْ" يقال للمخاطب، كما يفيد مجرد التمني أيضًا. فإن رسول الله ﷺ لما خرج في غزوة تبوك ناحية الشام تخلف عنه صحابي له اسمه أبو خيثمة. وكان النبي ﷺ يحبه ويثق به كثيرًا، وكان على يقين أن هذا الصحابي لا يمكن أن يتقاعس عن أداء الواجب. ولكن النبي ﷺ لما سار بالصحابة بعيدًا عن المدينة، وتفقد الجيش لم يجد أبا خيثمة. فبلغ منه ﷺ الحزن كل مبلغ حيث كان يحسن بأبي خيثمة الظن، ومع ذلك تخلف عنه ﷺ في القتال. فلما سار النبي ﷺ بالجيش أخبره بعض صحابته هذا راكبٌ مقبِلٌ وراءنا. فنظر النبي ﷺ إلى الوراء وقال "كُنْ أبا خيثمة". فلما سكن الغبار واقترب الفارس فإذا هو أبو خيثمة. فحمد النبي ﷺ ربه وشكره حيث حقق ما تمناه. فقوله ﷺ "كُنْ أبا خيثمة" لا يعني أن الفارس القادم كان غير أبي خيثمة، ولما قال النبي ﷺ هذا الكلام صار أبا خيثمة. وإنما يعني أن النبي ﷺ تمنى يا ليت هذا الفارس هو أبو خيثمة. فمن الأساليب العربية استخدام "كُن" تعبيرًا عن أمنية وإرادة أيضًا.

فالآية التي فسرها لم أقرأ تفسيرها بعد، ولكن على أية حال فقد أوضح معنى كلمة "كُنْ"، والباقي إن شاء الله سأذكره لاحقًا. أما بالنسبة إلى الحادثة التي وقعت في مسجد في ربوة، فادعوا لأولئك الذين أُصيبوا

فيها. نسأل الله تعالى أن يحفظ هؤلاء الجرحى، وأن يمنّ عليهم بالشفاء التام العاجل، وأن يُحبط الله تعالى كل مؤامرت المعارضين في باكستان ويجعلها خائبة خاسرة.

في ربوة أيضًا تُعقد اليوم جلسة للمعارضين باسم ختم النبوة، وربما يكون مشايخهم قد قالوا فيها ما شاؤوا من كلمات قذرة وخبيثة، وربما تكون جلستهم هذه قد انتهت الآن. نسأل الله تعالى أن يحمينا من شرورهم. وكذلك ادعوا للأحمديين في بنجلاديش. يبدو أن نوايا المعارضين هناك أيضًا سيئة جدًا. نسأل الله تعالى أن يحفظ كل أحمدي هناك أيضًا.

وادعوا كذلك للفلسطينيين، بأن يرحمهم الله تعالى ويُنجيهم من الظالمين. أما ما يُقال عن وقف إطلاق النار فليس إلا اسمًا بلا حقيقة، فقد أثبتت الأحداث في اليومين الماضيين أن ما يُسمّى بوقف إطلاق النار هو مجرد هراء. نسأل الله تعالى أن يحمي هؤلاء المظلومين من الظلم، وأن يبطش بالظالمين.

******